مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

ترجيحات المُطَهَر بِن عَليّ بن مُحَمَّدٍ الضَّمَدِي (١٠٤٨هـ) في تفسيره (الفُرَاتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكِتابِ المُنِير) في سورة الفاتحـــة (جمعٌ ودراسة)(*)

أ/ شيخة بنت ناصر بن زيد التميمي
ماجستير التفسير والحديث
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيـز

أ.د/ نورة بنت عبدالعزيز العلي
أستاذ القرآن وعلومه
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
n.alali@psau.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 25/12/2021 تاريخ قبوله للنشر 12/1/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

ترجيحات المُطَهَر بن عَليّ بن مُحَمَّدٍ الضَّمَدِي (١٠٤٨هـ) في تفسيره (الفُرَاتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكِتابِ المُنِير) في سورة الفاتحـــة (جمعٌ ودراسة)

أ/ شيخة بنت ناصر بن زيد التميمي
ماجستير التفسير والحديث
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

أ.د/ نورة بنت عبدالعزيز العلي
أستاذ القرآن وعلومه
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

ملخص البحث

يهدف البحث إلى جمع ترجيحات الضّمدي في تفسيره (الفرات النمير في تفسر الكتاب المنير) في سورة الفاتحة ودراستها، وبيان قواعد الترجيح التي أعملها، وموازنتها مع ترجيحات المفسرين، باتباع المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وموضوع، وتقسّم إلى مبحثين ومطلبين، جعلت المبحث الأول منه للترجمة الموجزة للضمدي وأهمية تفسيره (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير)، والمبحث الثاني أوردت فيه الدراسة النظرية التطبيقية لترجيحاته في سورة الفاتحة، ثم خاتمة البحث وقائمة بأهم المراجع.

الكلمات المفتاحية: الضّمدي، الدراسة والموازنة، الترجيح، الراجح، القاعدة الترجيحيّة.

Recommendations of Al-Mutahhar bin Ali bin Muhammad Al-Damdi (1048 AH) In his Tafsir (Al-Furat al-Numeer in Tafsir al-Kitab al-Munir) In Surat Al-Fatihah (collection and study)

Mrs. Sheikha bint Nasser bin Zaid Al-Tamimi
MA in Interpretation and Hadith
Prince Sattam bin Abdulaziz University

Dr. Noura bint Abdulaziz Al-Ali
Professor of the Qur'an and its Sciences
Prince Sattam bin Abdulaziz University

Research Summary

The research aims to collect Al-Damadi's weightings in his interpretation (Al-Furat Al-Namir fi Tafsir Al-Kitab Al-Munir) in Surat Al-Fatihah and study it, clarify the rules of weighting that I use, and balance them with the preferences of the commentators, by following the inductive-analytical-comparative approach.

This research came in an introduction and a topic, and was divided into two sections and two demands.

Keywords: Al-Damadi, study and balancing, weighting, most likely, weighting rule.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -ﷺ-، أما بعد:

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون، وأُفنيت فيه الأعمار، كتاب الله -ﷻ-، العلم الذي تفنى في تدوينه المحابر، ولا يرتوي وارده، ولذا أقبل العلماء عليه بالبحث والدراسة، مؤمنين بشرفه، مسابقين لخدمته، يقتبسون من نوره مشاعل الخيرات، ويجدون في تدبره الآيات الساطعات، كلما تراكم ظلام الشبهات والشهوات، قال سبحانه: {كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩} [سورة ص: ٢٩].

وإن من هؤلاء العلماء النجباء **المطهّر بن عليّ بن محمد الضّمدي (١٠٤٨هـ)**، صاحب تفسير **(الفُراتُ النَّمِيرُ في تَفسير الكتابِ المُنير)**، الذي عاش مشتغلاً بالعلم والتأليف في علومٍ مختلفة، قال عنه وعن تفسيره العلامة الشوكاني: «العالم المشهور المفسّر النحوي مؤلف التفسير المسمّى بالفرات وهو تفسيرٌ مفيدٌ جدّاً مع اختصاره يدلّ على قوّة ملكة صاحب الترجمة في العلوم ورسوخ قدمه في فنونٍ عدّة»[(١)]، ولا شك أن من أهم ما تحويه كتب المفسرين أقوالهم المختارة، وترجيحاتهم المستنبطة من تدبّر الآيات، فهي نتاجُ تأمّل طويل، بنُيت على أصولٍ وقواعد ترجيحية، تستحق العناية بجمعها ودراستها، لذا وقع عليها الاختيار لتكون موضوعاً لهذا البحث الذي جاء بعنوان: ترجيحات المُطهّر بن عَليّ بن مُحَمَّدٍ الضَّمَدِي (١٠٤٨هـ) في تفسيره (الفُرَاتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكِتابِ المُنير) في سورة الفاتحة (جمعٌ ودراسة)، وبالله التوفيق.

مشكلة البحث:

ماهي ترجيحات الضمدي في سورة الفاتحة، وما القواعد الترجيحية التي أعملها في تلك الترجيحات؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- المكانة العلميّة المتميزة للضّمدي - رحمه الله - فقد كان إماماً في التفسير والحديث واللغة وغيرها من العلوم.

٢- ندرة الكتب التي اعتنت بإبراز جهود الضّمدي - رحمه الله - في التفسير.

٣- اهتمام الضّمدي - رحمه الله - بالتفسير بالمأثور.

٤- القيمة العلميّة الكبيرة للترجيحات فهي خلاصة علم المفسّر ونتاج معرفته.

٥- حاجة الكتاب إلى استخراج الترجيحات ودراستها دراسة علميّة مستقلّة.

(١) البدر الطالع للشوكاني (ص٨٢٧).

أهداف البحث:

١- جمع ترجيحات الضمدي في سورة الفاتحة.

٢- دراسة الترجيحات وموازنتها مع ترجيحات المفسرين مع بيان القول الراجح.

٣- استنباط القواعد الترجيحية التي أعملها الضمدي في ترجيحه.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي في جمع الترجيحات عند الضمدي من سورة الفاتحة، والمنهج التحليلي المقارن في دراسة الترجيحات وموازنتها مع أقوال المفسرين، ثم المنهج الاستنباطي في استنباط القول الراجح والقاعدة الترجيحية التي أعملها الضمدي في ترجيحه.

إجراءات البحث:

أولاً: منهج دراسة ترجيحات الضّمدي في التفسير:

وستكون الدراسة والموازنة لكل ترجيح على النحو التالي:

١- ترتيب الآيات التي وقع فيها الترجيح حسب ورودها في السورة.

٢- دراسة ترجيح الضّمدي للمسألة من خلال:

أ- ذكر الآية التي ورد فيها الترجيح أو بعضها.

ب- النصّ على ترجيح الضّمدي، مع ذكر أدلته، وحُجَجِه في الترجيح.

ج- ذكر أقوال السلف في معنى الآية، ومن اختارها من المفسّرين المتقدمين للضّمدي، مع ذكر أدلتهم وحججهم.

د- اختيار القول الرّاجح، وبيان سبب الترجيح.

هـ- استنباط قواعد الترجيح التي أعملها الضّمدي في تفسيره.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، ومطلبين، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وفيها: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بالضمّدي ومكانته العلمية والتعريف بتفسيره (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير).

المطلب الأول: التعريف بالضمدي ومكانته العلمية.

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره (الفرات النمير في تفسير الكتاب المُنير).

المبحث الثاني: ترجيحات الضمدي في تفسيره (الفُرَاتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكِتابِ المُنير) في سورة الفاتحة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، الفهارس.

المبحث الأول:

التعريف بالضمّدي ومكانته العلمية والتعريف بتفسيره (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير).

المطلب الأول: التعريف بالضمدي ومكانته العلميّة.

اسمه ونسبه: هو المطهر[١] بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن النعمان بن حسين بن أبي القاسم بن حسين بن شبيب الضمدي[٢] الشقيري[٣]، ويكنى بأبي محمد[٤]، ولقبه الامام جمال الدين وقيل: سراج الدين[٥].

مولده: ولد الإمام المطهر الضمدي في قرية الشقيري، من أعمال وادي ضمد، ليلة الأحد ٢٦ من شهر شوال سنة ١٠٠٤من الهجرة النبوية[٦].

موطنه ونشأته: نشأ الضمدي نشأة حسنة وترعرع في حجر والده – رحمه الله – القاضي علي بن محمد النعمان وقرأ القرآن في بلدة الشقيري، ثم توفي والده سنة ١٠١٦هـ وهو دون البلوغ[٧]. وواصل رحلاته لطلب العلم رغم ظروفه الصعبة فرحل إلى مدينة صعدة[٨].

وحفظ الضمدي القرآن الكريم وأتقنه، وقرأ علوم الأدب والتفسير[٩]، ثم رحل إلى مدينة صنعاء[١٠]، ولَحج[١١]، وعَدَن[١٢]، وأخذ العلم عن علمائها.

---

(١) ذكر المحبي أن اسمه (مصطفى). انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٤٠٣/٤)، وهو خطأ أو تصحيف؛ حيث ذكر المحبي نفسه في كتابه نفحة الريحانة (٤٩٤/٣) أن اسمه: مطهر، فقال: "اسمه مطهر، ومسماه طاهر، وفضله وأدبه كلاهما زاهٍ وزاهر".

(٢) نسبة إلى ضمد وهي موضع بين اليمن ومكة وفي الشمال الشرقي من جهة جازان. انظر: البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي للأكوع (١٨٧/٢)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب (ص:١٦١).

(٣) قرية تقع شمال وادي ضمد وتبعد عن ضمد حوالي ١٧كلم شمالاً انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية لمحمد العقيلي (ص:١٥٨).

(٤) انظر: العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني، لعبدالله بن النعمان (ص ٤٨١)

(٥) انظر: العقيق اليماني (ص:٤٨١)، مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال (٤١٢/٤).

(٦) انظر: العقيق اليماني (ص٤٨).

(٧) انظر: المرجع السابق.

(٨) صعدة: من أقدم المدن اليمنية، تقع شمال صنعاء على بعد ٢٠٠كم، وتعتبر حصن الزيدية ومستقر أئمتها منذ وصولها إلى اليمن. ينظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني ص١١٥.

(٩) الأزهار في فقة الأئمة الأطهار، متن شهير من متون الفقة الزيدي، ألفه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت١٤٣٦/٨٤٠م)، وحظي هذا المتن بشروح كثيرة، توضيحا، شرحاً وتنقيحاً واعتراضاً وتأييداً.

(١٠) صنعاء: بفتح الصاد وإسكان النون بالمد، وهي المدينة اليمنية المعروفة، وتنسب إلى جودة الصنعة. انظر: معجم البلدان للحموي (٤٢٥/٣).

(١١) لَحَج: بفتح اللام ثم سكون الحاء، وهي مدينة يمنية خرج منها علماء منهم: ابن ميش: والفقيه محمد الفريضي، انظر: معجم البلدان (١٤/٥)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري (١١٥٢/٤).

(١٢) عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من جهة اليمن، وهي مدينة تجارية منذ القدم، وبها أقدم أسواق العرب.
انظر: معجم البلدان (٨٩/٤)، تاج العروس للزبيدي (٣٨٤/٣٤-٣٨٥).

وتلقى الحديث سماعا عن علماء اليمن، وله إجازات من شيوخه بالكتب الستة، وتعلم علم القراءات، ثم عاد إلى وطنه قرية الشقيري، وأقام فيها مع العبادة والفتيا بما أداه إليه اجتهاده في الحوادث وكان مرجع العلماء يُرجع إلى رأيه وترجيحه، ومن أهم مؤلفاته: كتاب التفسير الذي بشأنه هذا البحث (الفرات النمير في تفسير الكتاب المُنير) و(جلاء الوهوم مختصر ضياء الحلوم في اللغة) و(الطرفة في الطب والحكمة)[١].

عقيدته ومذهبه: لا شك أن العقيدة الإسلامية من المهمات العظمى في دين الله، وسلامتها هي غاية كل مسلم، كيف لا ورأس أمرها التوحيد الذي لا سبيل لنجاة المسلم إلا به.

وردت في تفسير الفرات النمير تقريرات فائقة لمذهب أهل السنة والجماعة في أكثر الأبواب اختلافاً بين السنة وفرق الشيعة، ألا وهو فضل الصحابة ومنزلتهم والثناء عليهم، ومن ذلك: قوله –♫– بما أفاده من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «تفسير الصحابة أقدم من تفسير من بعدهم؛ لأنهم خير القرون، ولنص الكتاب على فضلهم، ولأن الكتاب نزل بلغتهم، فهم له أعرف، والغلط عنهم أبعد، ولأنهم يسألون النبي–ﷺ– عما أشكل عليهم»[٢].

ووُصف بأنه: «عالم محقق في الفقه، لغوي مفسر، نحوي، طبيب شاعر، مال إلى قراء كتب السنة، كما قرأ كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فنفر عنه علماء الهادوية في اليمن»[٣]. كما أنه ضمَّن تفسيره الرد على بعض الفرق كالجهمية، والصوفية، والمعتزلة، ومع هذا وافق قول المعتزلة أحياناً بسبب اعتماده كثيراً على تفسير الزمخشري، ونقله الحرفي عنه[٤].

أما مذهبه الفقهي: فنجد الضمدي – رحمه الله – يعتمد على الدليل والنظر ولم يظهر لنا متابعته لأي مذهب من المذاهب الأربعة فقد كان صاحب رأي مستقل في المسائل الفقهية، ورأيه ينمُّ عن قوة حجته، وغزارة علمه، واستقلاله واجتهاده، وعنايته الفائقة بالسنة والأثر ومتابعة الدليل، وقد أثنى عليه الإمام الشوكاني – رحمه الله – بذلك فقال: "وشرع في شرح على الأزهار، وأورد الأدلة، ومشى على نمط الاجتهاد، وبلغ فيه إلى آخر كتاب الحج"[٥].

وفاته: مرض– رحمه الله – مرضه الذي توفي فيه، غرة شهر رمضان المبارك واستمر مرضه حتى توفي ليلة الثلاثاء في وقت صلاة العشاء سنة ١٠٤٨هـ، وقيل: توفي سنة ١٠٤٩هـ[٦].

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق الفرات النمير (٣٢/١).
(٢) الفرات النمير(٨١/١-٨٢).
(٣) هجر العلم ومعاقله (١٢١٩/٣).
(٤) انظر للمزيد من الأمثلة والتقريرات العقدية: مقدمة تحقيق الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير (١٧/١-٢٦).
(٥) البدر الطالع (٣١١/٢).
(٦) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور (٤١٢/٤)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (٣١٠/٢)

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره: (الفرات النمير في تفسير الكتاب المـنّير)

تميّز تفسير الفرات النمير بعدة مزايا جعلته من الكتب الجديرة بالدراسة، كتوازن الكتاب في حجمه وتنوّع مصادره، وعنايته بشتى العلوم كالتفسير بالمأثور واللغة والقراءات وعلوم القرآن، قال عنه المحبّي: «وقد حظيَ هذا التفسير باليمن بالقبول عند الفحول، ومدحه كثير من علمائه»[١].

وقد بيّن الضمدي منهجه في مقدمة كتابه بأن أصح التفاسير تفسير القرآن ببعض، ويلحق به تفسير النبيﷺ، ثم تفسير الصحابة، ثم من بعدهم لأنهم خير القرون، ثم التابعين، وذكر أنه يقدم قول الصحيح من التفاسير، وقد يقدم غير الأصح لجلالة قائله، أو لكثرة من ذهب إليه، ثم ينبه على أن الأخير أولى منه، وقد يترك التنبيه اكتفاءً بفهم الناظر، مع اعتماده على الإيجاز ما لم يفض إلى الإلغاز[٢].

صرّح في مقدمته أنه اختصره من كتب التفسير، ولم يكن في تفسيره ناقلاً بل ناقداً ومناقشا، جاء تفسير الكشاف للزمخشري من أوائل المصادر التي اعتمد عليها الزمخشري، ثم أنوار التنزيل للبيضاوي، ثم تفسير الإمام البغوي، وأما مصادره من السنة، فقد اعتمد على أمهات الكتب: صحيح البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داوود، والنسائي، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، وسنن الدارقطني، وصحيح ابن حيان، وفي القراءات اقتصر على نقل قراءة السبعة المشهورين، للاتفاق على جواز القراءة بها دون ما عداها[٣].

المبحث الثاني: ترجيحات الضمدي في تفسيره

(الفُرَاتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكِتابِ المـنّير) في سورة الفاتحة.

قال تعالى: {بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١} [سورة الفاتحة:١]

١-ما أصل اشتقاق لفظ الجلالة {ٱللَّهِ}؟

قال الضّمدي – رحمه الله –: «{ٱللَّهِ} اسمٌ للمعبود بحقٍ، وأصله: الإله، فحُذِفَت الهمزة، وفُخِّمَت اللام تعظيماً لاسم الله، وهو عَلَمٌ للخالق سبحانه، وقيل: كلي الحصر في فرد كالشمس، والأول أقرب، وسائر الأسماء الحسنى صفاتٌ اتفاقاً»[٤].

الدراسة والموازنة:

القول الأول: {ٱللَّهِ} اسم مشتق من الإله، فحذفت الهمزة وفخمت اللام تعظيما لاسم الله، وهو علم للخالق، وهو ما رجحه الضمدي، وقال به الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والشوكاني[٥].

(١) خلاصة الأثر (٤٠٣/٤).
(٢) انظر: مقدمة الفرات النمير (٧٧/١).
(٣) المرجع السابق (٨٣/١).
(٤) الفرات النمير (٨٨/١).
(٥) جامع البيان (١٢٣/١)، الكشاف (٦/١)، المحرر الوجيز (٦٣/١)، فتح القدير (٢٣/١).

قال الشوكاني: «و{ٱللَّهِ} عَلَمٌ لِذَاتِ الواجب الوجود لم يطلق على غيره، وأصله (إِلَـهٌ) حذفت الهمزة وعوّضت عنها أداةُ التعريف فلزِمَت. وكان قبل الحذف من أسماء لأجناس يقع على كل معبود بحقٍّ أو باطل، ثم غلب على المعبود بحقّ، كالنجم والصّعق، فهو قبل الحذف من الأعلام الغالبة وبعده من الأعلام المُختصّة»[١].

القول الثاني: أجاز التخيير، قال به البيضاوي[٢].

قال البيضاوي: {ٱللَّهِ} أصله إله، فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل:

يا الله، بالقطع إلا أنه مختص بالمعبود بالحق. والإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بالحق.

واشتقاقه من ألـه ألهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد، ومنه تألـه واستألـه، وقيل: من ألـه إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته. أو من ألهت إلى فلان أي: سكنت إليه؛ لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته، أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه، وآلهه غيره: أجاره، إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه. أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد. أو من وله إذا تحير وتخبط عقله، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه، فقيل إله كإعاء وإشاح، ويرده الجمع على آلهة دون أولهة»[٣].

القول الثالث: {ٱللَّهِ} اسم مرتجل لا اشتقاق له بل هو اسم للخالق تبارك وتعالى، والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم. وهو ترجيح الواحدي، والرازي، ونسبه أبو حيان للأكثرين[٤].

قال الواحدي: "اسمٌ تفرَّد الباري به سبحانه يجري فِي وصفه مجرى أسماء الأعلام لا يُعرف له اشتقاق[٥]".

وقال أبو حيان:" {ٱللَّهِ} علم لا يُطلق إلا على المعبود بحق مرتجل غير مشتقّ عند الأكثرين[٦]".

الترجيح:

اختلف أهل العلم في اسم {ٱللَّهِ} هل هو مرتجل أم مشتق من فعل على أقوال:

القول الأول: أنه مشتق من إله، واختلف كيف تعلل إله حتى جاء الله على أقوال:

الأول: أن اسم {ٱللَّهِ} مشتق من الإله، فحذفت الهمزة وفخمت اللام تعظيما لاسم الله، وهو علم للخالق، وهو ترجيح الضمدي وأكثر أهل العلم[٧].

---

(١) فتح القدير (٢٣/١).
(٢) أنوار التنزيل (٢٦/١).
(٣) المرجع السابق (٢٦/١).
(٤) الوسيط (٦٣/١)، مفاتيح الغيب (١٥٤/١)، البحر المحيط (٢٧/١).
(٥) الوسيط (٦٣/١).
(٦) البحر المحيط (٢٨١/٧).
(٧) انظر: المحرر الوجيز (٣٥٤/١).

الثاني: أنه مُشْتَقّ من "لاه – يَلِيهِ"، أَي: ارْتَفع، وَمِنْه قيل للشمس: إلاهة – بِكَسْر الْهمزَة وَفتحهَا – لارتفاعها. وَقيل: لاتخاذهم إِيَّاهَا معبودا، وعَلى هَذَا قيل: "لهي أَبوك" يُرِيدُونَ لله أَبوك فَقلت الْعين إِلَى مَوضِع اللَّام، وخففه بِحَذْف الْألف وَاللَّام، وَحذف حرف الْجَرّ.

الثالث: هُوَ مُشْتَقّ من "لاه –يلوه– لياها" أَي احتجب فالألف على هذَيْن القولين أصيلة فَحِينَئِذٍ أصل الْكَلم لاه "اللاه" ثمَّ أدغمت لَام التَّعْرِيف فِي اللَّام بعْدهَا؛ لِاجْتِمَاع شُرُوط الْإِدْغَام، وفخمت لامه، ووزنه على الْقَوْلَيْنِ الْمُتَقَدِّمين إِمَّا: "فعَل" أَو "فعِل" بِفَتْح الْعين وَكسرهَا، وعَلى كل تَقْدِير: فَتحَرك حرف الْعلَّة، وَانْفَتح مَا قبله فَقلب ألفا، وَكَانَ الأَصْل: ليها أَو ليها أَو لوها أَو لوها.

الرابع: مشتقا من "أَله" و"أَلِه" لفظ مُشْتَرك بَين معَان، وَهِي: العبادة والسكون، والتحير، والفزع.

فمعنى "إِلَه" أَن خلقه يعبدونه، ويسكنون إِلَيْهِ، ويتحيرون فِيهِ، ويفزعون إليه.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ} [سورة الأعراف:١٢٧] أَي: عبادتك.

وَإِلَى معنى التحير أشار أَمِير المؤمنين – رضي الله عنه – بقوله: (كلّ دون صِفَاته تحير الصفات، وضل هناك تصاريف اللُّغَات)؛ وذلك أن العبد إذا تفكّر في صفاته تحيّر.

والقول الثاني: أنه مرتجل كُلي الحصر في فرد لا اشتقاق له من فعل فهو علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به، ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه، ولأنه لو كان وصفاً لم يكن قول: لا إله إلا الله، توحيداً مثل: لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشركة[١].

وهو اختيار أبو حيان ونقل عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والغزالي وغيره، وَرُوِيَ عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة، قال الخطابيّ: ألا ترى أنك تقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام[٢].

وهذا القول هو الأقرب –والله أعلم– وهو المخالف لما رجحه الضمدي؛ لأن في قول أبي حيان (عليه الأكثرين) من باب أن الله سبحانه وتعالى لا سمي له في اسمه الدال على الذات، وعليه فلا يخضع للاشتقاقات الصرفية، وقد قال الله تعالى: {رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥} [سورة مريم:٦٥] فالمعنى أنه لم يسم بلفظ الله شيء قط[٣]، والتفسير بالآية أرجح كونه من تفسير القرآن بالقرآن.

القاعدة التي أعملت في الترجيح:

إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية [٤].

(١) انظر: أنوار التنزيل (٢٦/١).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١).
(٣) البحر المحيط (٢٨٣/٧).
(٤) قواعد الترجيح (٤٠١).

قال تعالى: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢} [سورة الفاتحة:٢].

٢- مسألة: ما الفرق بين المدح والحمد؟

قال الضّمدي - رحمه الله -: «{ٱلۡحَمۡدُ} هو: الثناء على الجميل الاختياري، تقول: حَمِدْتُه على فِعلِه، ولا تقول: حمِدْتُه على طولِه، فهو أخصُّ من المدح على الأصحّ»[١].

الدراسة والموازنة:

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول: الحمد أخص من المدح، وهو ما رجحه الضمدي، وقال به الماوردي، والبغوي، والبيضاوي[٢].

قال الماوردي: «فأما الفرق بين الحمد والمدح، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ حسن، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمداً، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته، بأنه عالم قادر، ولم يجز أن يحمد به، لأن العلم والقدرة من صفات ذاته، لا من صفات أفعاله»[٣].

القول الثاني: الحمد والمدح بمعنىً واحد، قال به الطبري، والزمخشري، والخازن[٤].

قال الزمخشري: «الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها. تقول: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته»[٥].

الترجيح:

بالنظر للأقوال الواردة في المسألة يظهر - والله أعلم- أن الراجح منها أن الحمد أخص من المدح وهو الموافق لما رجحه الضمدي- رحمه الله - **وذلك للأوجه التالية:**

١- «المدح أعم منهما جميعًا من حيث ما يقع عليه، فإنه يقال مما يقع من الإنسان بالتسخير، ومما يقع منه باختياره متعديًا أو لازمًا، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته، كما يُمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، كما يمدح بفروسيته وشجاعته، وهو يقع على الحي والميت، وعلى الحيوان والنبات والجماد والزمان والمكان وغير ذلك، وهو كالحمد من حيث إنه يقع بالقول باللسان لا غير»[٦].

٢- قال ابن القيم: «الفرق بين الحمد والمدح أن (حَمد) يتضمن الثناء مع العلم بما يُثنى به فإن تجرّد عن العلم كان مدحًا ولم يكن حمداً فكل حمد مدح دون العكس»[٧].

---

(١) الفرات النمير (٨٩/١).
(٢) النكت والعيون (٥٤/١)، معالم التنزيل(٧٣/١)، أنوار التنزيل (٢٧/١).
(٣) النكت والعيون (٥٤/١).
(٤) جامع البيان (١٣٨/١)، الكشاف (٨/١)، لباب التأويل (١٩/١).
(٥) الكشاف (٨/١).
(٦) اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة والفاتحة لسليمان اللاحم (٢١٨/١).
(٧) بدائع الفوائد (٩٢/٢).

٣- المدح أكثر ما يقال في الأشياء النافعة التي لم تبلغ الغاية كالجلادة والجود، والحمد يقلا في ذلك وفيما فوقه، فيقال: الجود محمود والله محمود، ولا يُقال الله ممدوح.

القاعدة التي أعملها الضمدي في ترجيحه:

يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[١].

قال تعالى: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢} [سورة الفاتحة:٢]

٣-مسألة: على ماذا يطلق لفظ {ٱلۡعَٰلَمِينَ}؟

قال الضّمدي – رحمه الله –: «العالمون: جمع عالَمٌ، وهو اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه، يطلق على المكلفين خصوصاً، وقيل: على جميع الخلق؛ لأنّه مشتقٌّ من العلامة، وهم علامةٌ على وجود الخالق وحكمته، والأول هو المشهور عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، ويرجحه: {لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} [سورة الفرقان:١]»[٢].

الدراسة والموازنة:

اختلف العلماء في إطلاق لفظ {ٱلۡعَٰلَمِينَ} على قولين:

القول الأول: يطلق على المكلفين، وهو ما رجحه الضمدي ورُوي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– وقال به مقاتل، والسمعاني، والزمخشري[٣].

قال مقاتل: «يعني الجن والإنس مثل قوله: {لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا}»[٤].

وقال السمعاني: «الخطاب مع المكلفين الذين هم المقصودون بالخليفة وهم الجنّ والإنس»[٥].

القول الثاني: يطلق على جميع الخلق، ذكر في روايةٍ أُخرى عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وقال به قتادة، والطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والسمين الحلبي[٦].

قال الطبري: «والعالم اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالَمٌ، وأهل كل قَرْن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان. فالإنس عالَم، وكل أهل زمان منهم عالمُ ذلك الزمان. والجنُّ عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كلّ جنس منها عالمُ زمانه. ولذلك جُمع فقيل: عالمون، وواحده جمعٌ، لكون عالم كلّ زمان من ذلك عالم ذلك الزمان»[٧].

---

(١) قواعد الترجيح (٣٤٧).
(٢) الفرات النمير (٩٠/١).
(٣) جامع البيان (١٤٤/١)، تفسير مقاتل (٣٦/١)، تفسير القرآن للسمعاني (٣٦/١)، الكشاف (١٠/١).
(٤) تفسير مقاتل (٣٦/١).
(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٣٦/١).
(٦) جامع البيان (١٤٤/١)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٣/١)، معاني القرآن وإعرابه (٤٦/١)، الوسيط (٦٦/١)، المحرر الوجيز (٦٧/١)، الدر المصون (٤٧/١).
(٧) جامع البيان (١٤٣/١).

وقال السمين الحلبي: «وهو اسمُ جمع لأن واحدَه من غير لفظِه، ولا يجوز أن يكونَ جمعاً لعالَم، لأنَّ الصحيحَ في «عالَم» أنه يُطلَقُ على كلِّ موجودٍ سوى الباري تعالى، لاشتقاقِه من العَلامة بمعنى أنه دالٌّ على صانعه، وعالَمون بصيغة الجمع لا يُطلق إلا على العقلاء دونَ غيرهم، فاستحالَ أن يكونَ عالَمون جمع عالَم؛ لأن الجمع لا يكون أخصَّ من المفرد»[١].

الترجيح:

بالنظر للأقوال الواردة في المسألة، يظهر أن القول الراجح –والله أعلم– هو جميع الخلق، وهو المخالف لما رجحه الضمدي – رحمه الله – **وذلك لأوجهٍ عدةٍ هي:**

١– أنه قول أكثر المفسرين[٢].

٢– النظائر القرآنية، قال تعالى: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾} [سورة الشعراء:١٦]، {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾} [سورة الشعراء:٢٣–٢٤].

٣– ما ذكره الضمدي آنفاً أنّه مشتقٌّ من العلامة، وهم علامةٌ على وجود الخالق وحكمته.

٤– حمل الآية على العموم، فيجب حملها نصوص الوحي على العموم ما لم يرِد نصٌّ بالتخصيص[٣].

القاعدة التي أُعملت في الترجيح:

يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسّر وأعان، ووفقنا للتمام، جزيل العطايا وأهل الإنعام، ذو الجلالِ والمنِّ والإكرام.

خلُص هذا البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١– أولى الضّمدي اهتمامه في تفسيره بالتفسير المأثور من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وقدمه على كل تفسير خالفه.

٢– ألمّ الضمدي في تفسيره بالعديد من العلوم، كعلوم اللغة التي كان بارعاً بها، والقراءات وغيرها.

٣– أعمل قواعد الترجيح المعتبرة عند ترجيحه بين الأقوال.

٤– تنوّعت ترجيحاته بين الموافق للعلماء والمُخالف لهم بحسب ما يستنبطه من أدلة، فلم يعتمد على النقل فقط، إنما أعمل رأيه بحسب علمه.

---

(١) الدر المصون (٤٦/١).
(٢) جامع البيان (١٤٣/١).
(٣) قواعد الترجيح (٥٢٧).
(٤) المرجع السابق.

٥- تفاوت المفسرين في عرض مسائل الترجيحات، فمنهم من يفصّل في الأقوال ويستدل عليها، ومنهم من يوردها بلا ذكر دليلٍ ولا ترجيح، ومنهم من يفاوت بينهما فيفصّل تارة، ويسكت عنها تارة.

توصيات البحث:

(تفسير الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير) يستحق أن يُعنى بمزيد بحثٍ ودراسة، لما يحويه من قيمةٍ علميّة، كدراسة استدراكات الضّمدي على الزمخشري، والقراءات، والعناية بدراسة الترجيحات في كتب التفسير عامة لما تقدمه للباحث من إثراءٍ علميٍّ كبير

فهرس المصادر والمراجع:

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة - بيروت.

البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، إسماعيل بن علي الأكوع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن عبد الله بن بليهد، دار الجوهرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني، عبد الله بن علي النعمان، مخطوط برقم ٧٧٠٨ق، ٢/١٤٨٨، مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، القرن ١٢هـ تقديرًا.

فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان، دار القاسم– الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى–١٤٢٢هـ.

مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، أحمد بن صالح بن أبي الرجال، تحقيق: عبدالرقيب مطهر محمد حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – مقاطعة جازان المخلاف السليماني، العقيلي، دار اليمامة الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد عناية.

الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير، المطهر بن علي محمد الضمدي، تحقيق: مجموعة باحثين، الجمعية السعودية للقرآن وعلومه (تبيان)، ط١، ١٤٣٩-٢٠١٨.